الرياض

الجمعة ٢٠ ربيع الأول ١٤٢٦هـ - ٢٩ ابريل ٢٠٠٥م - العدد ١٣٤٥٨

المادة (الحالية) تم تأليفها قبل ٨٤ عاماً!

يجب إعادة صياغة منهج التربية الوطنية من كل الأبواب

د. تنيضب الفايدي

وقد شخّص مكمن الخلل صاحب السمو الملكي الأمير عبدالله بن عبدالعزيز ولي العهد نائب رئيس مجلس الوزراء ورئيس الحرس الوطني، شخصه حين طالب قادة العمل التربوي «في لقاءاتهم به» بضرورة الرقي بالتربية الوطنية، وتعزيز الانتماء إلى الوطن من خلالها، وتجاوز تقصير منهجها في صياغة أبناء هذا الوطن صياغة صحيحة ترتفع بهم إلى مستوى المسؤولية، مستشعرين أدوارهم المستقبلية المنوطة بهم، باحثين عن رؤية جميلة لرسم وطن أجمل، ولا يكون ذلك إلاّ من خلال انتماء حقيقي صادق إلى هذه الأرض حكومة وشعباً وصولاً إلى شعور حقيقي بالمواطنة الحقة التي تبنى على تربية وطنية توضح لهذا الابن - الأب القادم ما له وما عليه: حقه وواجبه، وغرس حب الوطن في نفوس الناشئة والشباب وتنمية روح الولاء للكيان السعودي ليزدادوا اعتزازاً به والعمل من أجل تقدمه، وإعلاء شأنه مع تأكيد الولاء لله سبحانه وتعالى وتعزيزه وطاعة ولاة الأمر في ظل الشريعة الإسلامية، وتعريفهم بأرض البطولات والأمجاد ومهد العروبة والإسلام المملكة العربية السعودية.

إن إعادة النظر في صياغة منهج التربية الوطنية، مقرراً وطرقاً ووسائل وأنشطة وأهدافاً ورؤى ومعلماً لهو السبيل الوحيدة إلى كتابة شعور صادق في أفئدة المنتمين إلى هذا الوطن.

ويأتي هذا المقال مشاركة لما وجه إليه سموه الكريم زاده الله توفيقاً.

وبداية قد يظن البعض ان مادة التربية الوطنية من المواد الجديدة على المقررات الدراسية بالتعليم العام بالمملكة العربية السعودية ولم يسبق تدريسها، بينما هي في حقيقة الأمر مادة يعود تاريخ تدريسها إلى عام ١٣٤٨هـ أي حوالي قبل ثمان وسبعين سنة حسب ما هو مدون في مذكرة موثقة من مديرية المعارف آنذاك برقم ٣٧١ وتاريخ ١٣٤٨/٣/٢٤هـ حول المواد الدراسية للصفوف الابتدائية من الصف الأول إلى الصف الرابع وكان من ضمنها: مادة الأخلاق والتربية الوطنية للصف الرابع وعدد حصصها حصتان في الأسبوع.

وقد تضمن مفردات منهج مادة التربية الوطنية في ذلك التاريخ العديد من المواضيع المهمة، وتعريف مختصر للعديد من الأجهزة الحكومية الموجودة في ذلك الوقت، حيث تطرقت المادة إلى: الأسرة والعائلة، الأمة، الوطن، الوطنية، الحكومة، واجب الحكومة، أنواع الحكومة، الدستور، حقوق الأفراد، واجبات الأفراد، النظام الإداري، السلطات العامة (التشريعية، التنفيذية، القضائية) ومن أهم ما ورد في المذكرة (المجلس البلدي) الأعضاء ووظائفهم وهو حديث الساعة خلال هذه الفترة (الانتخابات البلدية). وكان ذلك عام ١٣٤٨هـ.

وبعد إنشاء وزارة المعارف عام ١٣٧٣هـ أدمجت موضوعات مادة التربية الوطنية في المواد الدراسية الأخرى وأثبتت نجاحها واستمرت على ذلك حتى عام ١٤١٧هـ (علماً بأنه في عام ١٤٠٥هـ قررت وزارة المعارف - وزارة التربية والتعليم حالياً - تدريس مادة التربية الوطنية في الثانويات المطورة، وانتهى ذلك بانتهاء تلك الثانويات عام ١٤١٢هـ).

وارتباط مادة التربية الوطنية بالمقررات الأخرى ارتباط وثيق بل ان بعض مكونات التربية الوطنية تبرز أهميتها ضن مكونات بعض المواد الدراسية أكثر مما تبرز مفردة في منهج التربية الوطنية ويتح ذلك كما يلي:

- مقررات التربية الإسلامية: هناك علاقة وثيقة بين الانتماء للوطن والمواطنة وبين مقررات التربية الإسلامية بفروعها المختلفة وربط ذلك بالواقع الميداني، ودمج بعض أهداف التربية الوطنية ضن أهداف تلك المواد، ولاسيما ما يتعلق بالبيعة والحقوق والولاء، للوطن والأمة الإسلامية وحفظ الأنفس والعدالة والشورى والتعاون المشترك بين المواطنين والدولة فيما يحفظ حقوقهم، وحقوق الأسرة والجوار والعلاقات الاجتماعية والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، إضافة إلى الحرية الشخصية والتي تشمل حرية الرأي وحرية التملك وحرية العمل، هذه الحرية التي يضبطها الدين الإسلامي يجب ان يكون ضمن هذه المقررات وكثير من المصطلحات الوطنية لها ارتباط وثيق جداً بالقرآن الكريم والحديث الشريف ومقررات التربية الإسلامية الأخرى، وفصل هذه المفاهيم المعززة للتربية الوطنية عن مواد التربية الإسلامية أثر كثيراً في استيعابها وتمثلها والالتزام بها.

أما مقررات اللغة العربية فهي متعددة الفروع، وكل مقرر يمكن ان تكون مفردات منهجه ميداناً خصباً للتربية الوطنية سواء ما يتعلق بالقراءة والمطالعة أو الإملاء والتعبير، والقواعد وقد أثبت الواقع ان مناهج اللغة العربية تستوعب أي موضوع من عناصر أو مفردات التربية الوطنية سواء ما يتعلق بواجبات المواطن في المملكة العربية السعودية مثل المرافق العامة والمحافظة عليها، واحترام النظام والمشاركة في خدمة المجتمع، إضافة إلى ان مفردات اللغة العربية تستطيع غرس المبادئ والقيم مثل الصدق، والاخلاص والزمانة والصبر والتناصح كما ان مثل هذه القيم تحذر مما يخالفها كالكذب والغش، كما تستوعب تلك المفردات الاتجاهات الحديثة فيما يتعلق بالتربية الوطنية كالحوار والاتجاهات السياسية، والانتماء للتنظيمات المعتمدة، والانتخابات، إضافة إلى الوطن ومفهومه والدفاع عنه والتكافل الاجتماعي، والتكافل الثقافي والمشاركة الفعالة للمواطن في التنمية وتشجيع العمل الفني وتشجيع المنتجات الوطنية، ترشيد الاستهلاك، وعندما كانت التربية الوطنية ضمن المقررات فإن الأهداف المرسومة لها تحققت فعلاً، إضافة إلى ان الترابط والتكامل بين تلك المواد سواء مواد التربية الإسلامية أو اللغة العربية يساهم مساهمة حقيقية في ترسيخ التربية الوطنية وتأكيدها، وكمثال لذلك درس كاتب هذا المقال وزملاؤه (العلم) عام ١٣٨٠ه بالصف الثالث الابتدائي في مادة القراءة وقد عرف إلى ماذا يرمز علم الدولة ، ومواصفاته، ومقاييسه، ثم أعيد الموضوع ذاته في مادة الإملاء، وتم التدريب على الخط على كلمة (لا إله إلاّ الله محمد رسول الله) إضافة إلى كل ذلك أعيد الموضوع للمرة الرابعة في مادة التعبير.

أما المواد الاجتماعية (التاريخ، الجغرافية) فإن الكاتب يعتقد بأن أهم مفردات هذه المقررات هي مفردات التربية الوطنية ولاسيما مادة التاريخ، حيث تندرج تحت مفرداته الدولة، ونشأتها وضرورتها وأسس بناء الدولة وسلطات الحكم (التشريعية والتنفيذية والقضائية)، كما ان تعريف المواطن بجغرافية وطنه: سهوله وجباله وصحراواته وبحاره وموانئه وسواحله)، هذه المفردات وغيرها تتضمنها مادة الجغرافية وتستوعب المواد الاجتماعية أي مفردة أخرى من مفردات التربية الوطنية (المفايهم والمبادئ التي تحكم السياسة الخارجية للمملكة العربية السعودية) والجامعة العربية، ومجلس التعاون لدول الخليج العربي، والمبادئ والوظائف لكل مؤسسة حكومية أو أهلية.. أما مواد العلوم بمختلف أقسامها وفي جميع المراحل فإنها تحقق أهداف كل ما يتعلق بالبيئة بأنواعها المختلفة وبالتالي فهي مجال أرحب لدمج جوانب هامة عناصر التربية الوطنية، كما ان المواد الاجتماعية أو مواد اللغة العربية أو مواد التربية الإسلامية أو مواد العلوم يمكن ان تقدم للطالب القدر المناسب من الخبرات والمعلومات الثقافية والاجتماعية التي تنمي لديه الاعتزاز بالانتماء كما تنمي لديه الاحساس بمشكلات المجتمع الثقافية، والاجتماعية والاقتصادية وبالتالي يتم إعداده للمساهمة في حل تلك المشكلات وإتاحة الفرصة أمامه ليصبح عضواً فاعلاً في نهضة مجتمعه المحلي، وتتسع الدائرة ليشمل ذلك وطنه كاملاً، كما ان أهداف تلك المواد تتداخل كثيراً مع أهداف التربية الوطنية التي وردت في وثيقة سياسة التعليم في المملكة العربية السعودية والصادرة من اللجنة العليا لسياسة التعليم عام ١٣٩٠ه .

أسباب ومبررات دمج التربية الوطنية

توجد عدة مبررات تدعو إلى دمج مادة التربية الوطنية في المواد الدراسية (الأم) وبصورة عاجلة ومنها: أولاً المعلم المتخصص: لا يوجد معلم متخصص في التربية الوطنية في جميع المدارس وبمختلف المراحل، علماً بأن هناك مهارات في التعليم تتطلبها كل مادة تعليمية ضمن استراتيجيات التدريس المختلفة، وهناك متطلبات محددة ليصبح التدريس فعالاً، وذلك لكل مادة وتعمل كليات التربية وكليات المعلمين على ان يطبق طلابها تلك المهارات والاستراتيجيات أثناء الدراسة لكل المواد الدراسية عدا مادة التربية الوطنية وذلك بالتنسيق مع إدارات التربية والتعليم التي توجد بها تلك الكليات وعدم وجود معلم متخصص في التربية الوطنية أدى إلى: اسناد مادة التربية الوطنية في المراحل كلها إلى معلمي الاجتماعيات وخاصة المرحلة الثانوية وبعض المدارس في المرحلة المتوسطة وكذا المرحلة الابتدائية إلاّ ان نسبة عالية من المدارس ولاسيما المرحلة الابتدائية يستكمل بهذه المادة - التربية الوطنية - بعض جداول المعلمين ولعدم وجود المتخصص تعتبر «مادة» لمن لا «مادة»، له، ويتعدد معلموها في المدرسة الواحدة، وقد يتسابق المعلمون إلى ضمها لجداولهم لأن حصة التربية الوطنية تريحهم من عناء الشرح والتصحيح وإذا اجتهد فإن المعلم والحالة هذه يعتمد على الكتاب المقرر والتلقين وحفظ النقاط الأساسية، علماً بأن مادة التربية الوطنية يجب ان تبتعد عن أسلوب التلقين والحفظ ويعتمد على الأساليب التي تحقق للطلاب ذواتهم وتعمل على اشباع حاجاتهم المعرفية، والوجدانية والسلوكية والمهارية ومن أهم تلك الأساليب أسلوب الحوار، وبث روح التآلف والتعاون، ولاسيما في المرحلة الثانوية واطلاعهم على مشكلات المجتمع المحلي والمجتمع بصورة عامة والقضايا التي تواجهه: مثل قضايا البطالة والإرهاب وتدريب الطلاب على الالتزام بمبادئ الحوار والمناقشة والنقد البناء بينهم وبين إدارة المدرسة والمعلمين.. بل ومحاورة أعضاء من المجتمع المحلي.. كل ذلك يتطلب عدة أمور أولها المعلم المتمكن المتخصص، وهذا لا يتوفر حالياً في مدارسنا.

ثانياً: مقررات التربية الوطنية: نزلت هذه المقررات في الميدان التربوي قبل ثماني سنوات للتجربة - وما زالت - وتخرجت أجيال، ولتعدد مناهج التربية الوطنية من الصف الرابع الابتدائي، وحتى الثالث ثانوي فإن الحكم عليها في مقال لا يمكن ان يكون حكماً صائباً حيث الأمر يتطلب مراجعة كل مقرر ومناسبته لتحقيق الأهداف وعمق المادة العلمية لهذا المقرر والتقنيات المستخدمة وأسلوب تنفيذ المقرر، وهل تعمل فعلاً على تأصيل المواطنة والانتماء سلوكياً، ونظراً لأن هذا المقال يهدف أساساً إلى بيان العلاقة بين مقرر التربية الوطنية في المقررات الأخرى ومدى ارتباطها بالمادة العلمية لتلك المقررات، لذا تم «حجب» العقبات والمشكلات المتعلقة بمقرر التربية الوطنية، لأن ذلك يتطلب مجالاً أرحب خاصة في ضوء تعدد المؤسسات الثقافية والفكرية خلال الأعوام الماضية، ولاسيما بروز دور مركز الحوار الوطني (وقد كانت فكرته ذكية وموفقة)، حيث عمل على تنمية ثقافة الحوار والتلاقي بين أطياف المجتمع السعودي، علماً بأنه توجد بين هذه الأطياف بعض الاختلافات الثقافية والفكرية ولكن مركز الحوار الوطني نجح في تلافيها، كما نجح في تحديد المسار الصحيح وتنمية ثقافة الحوار وافساح الرأي والرأي الآخر من أجل الاتفاق، والذي لم يتحقق عن طريق مقررات التربية الوطنية.

ثالثاً: تقويم الطلاب: لا يوجد تقويم لمادة التربية الوطنية بالصف الثالث ثانوي أي ان مراحل التقويم المنفذة في بقية المواد الدراسية لا تطبق على مادة التربية الوطنية، سواء ما يتعلق بالمشاركة أو الاختبار النصفي، أو اختبار نهاية العام، وإذا تم ذلك فإن أي درجة تكتسب للطلاب لا يتم رصدها في استمارة الطالب ولا تدخل في المجموع أو النسبة، وهذا الأمر أدى إلى ان المادة الدراسية لا قيمة لها في رفع النسبة أو خفضها، ولا علاقة لها بنجاح أو إعادة وذلك بالصف الثالث ثانوي وهذا الأمر أثر فعلاً على نظرة الطلاب لأهمية المادة وقيمتها العلمية، علماً بأن أهمية المادة إذا تشربها الطلاب تؤدي تحقيق أهم أهدافها وهي: اشباع حاجات الطلاب المعرفية، والمهارية والوجدانية والسلوكية فيما يتعلق بها أي ان الأهداف المتوخاة لم ولن تتحقق للمعرفة الأكيدة من قبل طلاب الصف الثالث ثانوي لأن الجهد - فيما لو بذل - لا نتيجة له - وهذا أثر كثيراً على مستوى المادة لدى الطلاب واغفال الدرجات مستمر منذ ان قررت تلك المادة في التعليم العام منذ ثمان سنوات بالنسبة للصف الثالث الثانوي، وشاع ذلك بين بقية الطلاب في الصف الثاني والأول الثانوي وبقية المراحل الأخرى، علماً بأن تعزيز قيمة أي مادة علمية ودعمها والتمسك بمضمونها يبرز ذلك التعزيز والأهمية عن طريق تقويمها، ويدرك الطالب تلك الأهمية من نتائج ذلك التقويم ومضامينه.

رابعاً: استخدام الوسائل التعليمية والتقنية الحديثة: عملت وسائل التقنية الحديثة وثورة الاتصالات على إزالة الحواجز واختراق خصوصيات كل دولة فأي كلمة أو أي صورة أو أي معلومة وفي ظل «عولمة التقنية» تستطيع هذه الكلمة أو المعلومة أو الصورة ان تخترق أي سياج تقيمه أي دولة لحجبها عن الآخرين، لذا فإن تغير المعلومات السريع واتساع الثقافة وتنوع الأفكاروسرعة انتشارها وفي ظل الواقع الذي يعيشه العالم سياسياً واقتصادياً فإن تحقيق أهداف التربية الوطنية يتطلب معلماً متميزاً متخصصاً يتعامل مع ثورة الاتصالات وتقنية المعلومات، كما يتطلب منهجاً متحركاً يحافظ على الثوابت ويستجيب للمتغيرات، ومع هذه الأهمية للوسائل التعليمية ووسائل التقنية فإن استخدامها محدود في مادة التربية الوطنية ولم يهيأ لها متطلباتها الأساسية ويتطلب الوضع الحالي التركيز على استخدام وسائل التقنية لتحقيق الأهداف والمحدودية الاستخدام أو فقدانه أو انعدامه لذا فإن الدمج مع مقررات أخرى تستخدم تلك التقنيات يحقق ما لم يتحقق لها حالياً.

خامساً: النشاط: يعتبر النشاط الجانب التطبيقي لأي مادة تعليمية وللنشاط أهمية كبرى بل ان بعض المناهج تعتمد على النشاط فقط ويطبق في مدارسنا النشاط المستقل والنشاط المصاحب للمادة، وبما ان التربية الوطنية في مفهومها العام: انتماء الفرد (الطالب) نفسياً واجتماعياً وسياسياً واقتصادياً إلى المجتمع ضمن الكيان الكبير المملكة العربية السعودية.. وهذا يحتم معرفة الطالب للحي الذي يعيش فيه ضمن القرية أو المدينة والمنطقة.. إلخ مما يستلزم تنفيذ الكثير من النشاطات الميدانية كالرحلات والوقوف على أهم الإنجازات في المواقع القريبة وفي مختلف المجالات، وكذا بعض الممارسات والأنشطة الأخرى داخل المدرسة لكن نظراً لوجود عدة عقبات ومنها ارتباط المعلم بمادة أخرى فإن النشاط بالنسبة لمادة التربية الوطنية يقل وقد ينعدم ويصبح ضمن إطار الاجتهادات الشخصية وإذا ما دمجت مادة التربية الوطنية في المواد الأخرى فإنها ستكتسب كل أنواع النشاط سواء المستقل أو المصاحب للمواد، أما في حالتها الراهنة فإن نشاطها - إن وجد - محدود ولا يؤتي ثماره المرجوة.

وأخيراً: المقرر، والمعلم والنشاط والتقويم ووسائل التقنية الحديثة هذه أهم عناصر كل منهج ومن ضمنها منهج التربية الوطنية ولم يرتق أي عنصر منها إلى المستوى المطلوب فماذا يبقى بعد ذلك؟ لذا فإن الدمج في الوقت الحالي أصبح ضرورة لنجاح هذه المادة.

وهناك العديد من الدول لم تفرد مناهج للتربية الوطنية وإنما يتم ذلك عن طريق دمجها ضمن المواد الدراسية وفي إطار جماعات النشاط والأسابيع العامة ومن خلال برامج ومشاريع محددة مثل: تطبيق الحوار والتعريف بمبادئه، وتمثيل الأدوار خلال المناقشات المختلفة، كما في بريطانيا وغيرها. ولوجود اللجان والأسر بوزارة التربية والتعليم والتي تعمل على تطوير المناهج، ومنها: مناهج التربية الوطنية ولأنها أي - التربية الوطنية - تهم كل مواطن يعيش على ثرى هذا الوطن الغالي فإن الكاتب يرى ان تتم مناقشة تطويرها وعلى أعلى المستويات وان تتدخل في ذلك الأجهزة ذات العلاقة بالأنظمة مثل مجلس الشورى مع التأكيد على ان الدمج في المرحلة الابتدائية والمرحلة المتوسطة أصبح من المتطلبات الأساسية، لأنها ستكتسب أهمية في كل مقرر ويعمل الطالب على تشرب واستيعاب أهدافها وفق أهداف كل مقرر وتمثل ذلك سلوكاً ويتوثق حب الوطن وينمو من خلال كل مادة دراسية.

أما المرحلة الثانوية فإذا أفردت بمقرر للتربية الوطنية فإن ذلك يجب ان يختلف اختلافاً كلياً عن الموجود حالياً وذلك بمراعاة ان تكون المادة العلمية وثيقة الصلة بالطالب ووفق مستواه العلمي والتركيز على مفرداتها بحيث تراعي الانفتاح الثقافي والاتجاهات الحديثة في تربية المواطنة، ويختلف كذلك أسلوب تنفيذ تلك المفردات بحيث يختلف عن أسلوب السرد الحالي والعمل على تنمية التفكير بطريقة عملية للطالب لتوظيفها في حياته اليومية العلمية والعملية والأسرية، وتعمل على توظيف خبراته لبناء الثقة حتى يصبح قادراً على التفكير السليم، وحل المشكلات والاسهام في بناء مجتمعه، ويستطيع ان يجابه أي فكر منحرف أو أي جماعة مشبوهة ومعالجة أفكار الآخرين، ومناقشة وجهات نظرهم، والتركيز على أسلوب حل المشكلات في تدريس المادة بحيث يكثر الطالب من البدائل، والاحتمالات والخيارات والمزايا التي تميز كل أسلوب أو احتمال أو اختيار.. وهكذا يستطيع الطالب في هذه المرحلة وفي ضوء هذه الأساليب التعامل مع الثقافات المتعددة، وفي المستقبل يستطيع تداولها بل وصناعتها.